ملف لقد اعتاد دارسو الأدب على إطلاق مفهوم اللعنة والملعونين على تجارب كتاب أنهوا حياتهم بشكل عنيف، منتحرين في ظروف إمّا مأساوية أو غامضة. كان أول من صاغ هذا المفهوم الشاعر الفرنسي بول فيرلين في كتابه Les Poètes maudits سنة 1884. وبحسب فرلين، يعتبر الشاعر أو الكاتب ملعوناً سواء أقدم على الانتحار أم لم يقدم عليه. لكنه ذلك المبدع الموهوب جداً الذي لم يكن بمقدور المجتمع أن يفهمه. وهو في المقابل كثيراً ما يرفض أو يناصب العداء قيم المجتمع، بتصرف مثير ومستفز لمحيطه، ويسعى بخطورة قصوى وبقوة إلى دماره الشخصّي. وفي العموم، تخترمه يد المنون وهو في ميعة الصبا قبل أن تدرك قيمته الإبداعية والفكرية من قبل المجتمع. تحضر في أدبنا المغربي تجارب إبداعية

الساعات جنازات...

كتّاب مغاربة مهووسون بالنهايات

حوري الحسين (1946-1984): ابن الحيّ الفقير تفرّع كغصن كبير

حوري الحسين واسمه الحقيقي مذنب الحسين كان من أوائل المبدعين المغاربة الذين صدموا المشهد الثقافي بانتحاره المفاجئ والصادم في صيف 1984 في شقته في المحمدية. عانى كثيراً من الفقر والبؤس في طفولته وشبابه. هو ابن كاريان (حي صفيحي) سيدي عثمان في الدار البيضاء من مواليد سنة 1946، لم يستطع إكمال دراسته حيث غادر مقاعد الدرس في المرحلة الإعدادية. لكن تعلّقه بالمسرح أداء وقراءة وتأليفاً وإخراجاً في ما بعد، أبان عن عصامية نادرة أهّلته لأن يكون واحداً من أهمّ رواد مسرح الهواة، بل منظّراً لما أسماه هو بمسرح المرحلة ذي التوجّه الواضح نحو المسرح التحريضي. وظّف أساليب قلّما تجتمع في الأعمال المسرحية المغربية من البحث الدرامي الرصين وتجريب أشكال مسرحية نابعة من خبرة وموهبة حوري الحسين في العمل المسرحي، مع مسحة شعرية في الأداء والتصوّر العام للبناء المسرحي. كتب عن حوري الحسين الكاتب المغربي حسن بحراوي مقالة رائعة تحت عنوان «العيش على حافة الهاوية» في جريدة «الاتحاد الاشتراكي» في ملحق «فكر وإبداع» أبان فيها عن الكثير من أسرار حياة الفقيد وحجم الغبن والخذلان الذي تعرّض له قاده في النهاية إلى الانتحار كما لو أنّه يؤدي آخر أدواره الاحتجاجية، لكن هذه المرّة على مسرح الحياة.

ترك حوري الحسين خلفه ريبرتواراً مسرحياً رفيعاً. تعدّ مسرحيته «الحرباء» أفضل نموذج يمثل مسرح حوري الحسين، إضافة إلى الكثير من المسرحيات المتميّزة مثل «سمفونية الغضب» و«الزمن الأحدب» و«امبراطورية الشحاذين»... و«فريفرة» التي تعد تسجيلاً لسيرته الشخصية مع البؤس والضياع، إضافة إلى تنظيراته المسرحية التي قدمها على شكل أوراق في الكثير من مهرجانات وملتقيات مسرح الهواة. المؤسف هو أنّ حوري الحسين تمّ اغتياله مرّة ثانية في شخص أعماله وإنتاجاته المسرحية، ووصيته الأخيرة، إذ لم تنشر أو توثق، وتركت لتذروها رياح الإهمال، ليبقى كما قال عن نفسه: «يا ابن الحيّ الفقير، يا اسماً مجلوداً..معروفاً، يا شكل الإنسان الأسير، يا حلماً.. يا شرفاً.. يا شهماً، تفرّع كغصن كبير». الآن، وبعد مضي العديد من العقود، ما زال حوري الحسين يمثل جرحاً كبيراً في جسد المسرح المغربي.

كريم حوماري (1972-1997): روحه هناك... في كلّ مكان

ينتمي كريم حوماري إلى أولئك الشعراء المهووسين بالنهايات. ما الذي كان يدور في رأسه لمّا أقدم على شنق نفسه قريباً من الفوهة المسماة «باب الموت» قبالة المحيط الهادر في ميناء مدينة أصيلة الهادئة والوديعة. هذا الشاب اليافع الذي فضّل مغادرة الوجود بطريقة قاسية، كان فاعلاً جمعوياً وحتّى سياسياً. كتاباته الشعرية مفعمة بالاحتجاج والرفض، فيما صوت الشاعر الداخلي يهجس بين الحين والآخر بظلال الموت الجاثمة على روحه. في رسالة إلى صديقه القاصّ مصطفى حيران قبل انتحاره بقليل، كتب: «عين الأشباح تطاردني صباح مساء، داخل عروق أصيلة المتشابكة في جسدٍ إيقاعُ دمعِه بطيء، وقلبُه له دقاتُ طبل، لكن لا أحد يسمع». هل هي صدفة أن يكتب عنه صديقه الشاعر إدريس علوش والقريب منه نصّاً بعنوان وبضمير يعود على كريم حوماري «يحفر الليل قبري وينام»؟ وفي مقالة عنه في جريدة «الأخبار»، يروي الشاعر ياسين عدنان أنّ مخبرين زاروا بيت الشاعر وفتّشوه واقتادوه إلى مركز الشرطة، ثمّ في ما بعد أطلقوا سراحه، «لكن يبدو أنهم أطلقوا جسده فقط، فيما ظلت روحه معتقلة لديهم». ربما تركها هناك، وفي كلّ مكان أيضاً، وفي ديوانه الذي سيرى النور بعد موته «تقاسيم على آلة الجنون» حيث سنقرأ المسار الجانح لروح قلقة في مغرب ربّما لا يسع مثل هذه التجارب الحادّة في قولها الشعري ومصيرها الوجودي.

مقاطع من «تقاسيم على آلة الجنون»

1

الأقلام تسيء نطق كلامي
الكلام يسيء نطق اشراقي.

2 - مشهد

رأيت الشعب مشغولاً بدفع العربة إلى الأمام
رأيت العربة مشغولة بدفع الشعب إلى الوراء
رأيت شعباً من العشاق ينتحر
رأيت راهباً يحمل مقصلة
حاكماً يحمل مشنقة
رأيت الجميع يحارب الجميع
وأنا لم أشارك في المهزلة.

3 - نبوة

ليست لي
الأرض
التي تحملني
ولا السماء
التي تحصرني،
ما أنا إلّا ورقة خريف
بين خيط الريح
أو نبي آخر ساعة
تحت شمس باردة
في بحر معشوشب
أستريح صحبة باقي الأنبياء.

4

من رمادي تنهض العنقاء
يذهبان سوياً
وتخطئني بنادق الصحو
ولا أنتعل حذاء هذا الجنرال
حين أدوخ.

5

يسقط الكلام من شرفات صمتي
ترحل طيور أحلامي من سماء غضبي
تسقط زهرات العمر في ضياع الوقت،
من يدري أنني غازل خيوط ألمي؟
أغني و أبكي، لست أدري
فلتنهض حروفي من نوم حبرها،
وليسقط حبري دمعة في رحاب الوجد
ضيعت نفسي وهلكت آخر أنفاسي،
هذي يدي الممدودة صوتا في العراء
وهذا جرحي الثابت في جدار الهواء،
متى تأتون؟
لكم أجنحتي من صلابة الوجد
ولكم رقتي
تترك خطوتي آثار فرسان
وأشكو عابر سبيل ضللني،
حتى يأتي الماء من جهة القلب؟
ثم أين أضع هذا القلب ونبضه؟
فقدت صوابي وأخطائي،
فلتأت حروب كي أدفن شهادة نفسي.

هل رأيت؟

هذه الشمس
ساعة بلا أرقام،
وأنت تسأل عن الوقت.
هذا الليل
أتى فقط
كيف تشعل الأنوار
وتمشي مسافة الاحتراق،
ضائعاً بين أرصفة الجليد
وخدعة الأمكنة.
هل رأيت هذا الهدوء العليل
المنتشر في القصور،
وأعراس الحزن
المقامة في القبور
وهذا الهواء التافه
المرعوب من عنف العاصفة
وصمت النّجوم
الملتزمة بالحياد
رغم عنف المرحلة، هل رأيت؟
هل رأيت شحوب النباتات
والحمق المنتشر مثل الطاعون
في سائر الجهات
وتلك الفراشات القادمة
من ضفة الانهيار المرتقب؟
عليك
أن تختار
أو
تنهار...

سعيد الفاضلي (1960-2004): محقّق الرحلات في رحلته الأخيرة

وضع الكاتب القصصي والباحث الأكاديمي سعيد الفاضلي حدّاً لحياته عن عمر جاوز الثالثة والأربعين في أحد فنادق الدار البيضاء، بطريقة حيّرت الجميع، خصوصاً أصدقاءه المقربين. إذ كان الرجل في قمّة عطائه الإبداعي، وأوج مساره الأكاديمي الناجح إثر فوزه بجائزة ابن بطوطة الرفيعة في إطار مشروع «ارتياد الآفاق» الإماراتي الذي يعنى بأدب الرحلة، عن تحقيقه لـ «الرحلة الأوروبية» لمحمد بن الحسن الحجوي الثعالبي. انطلقت تجربة سعيد الفاضلي القصصية من خلال مجموعته «إرم ذات العناد» (1997) ذات العنوان القائم على اللعب اللغوي والإحالة على مرجعيات تراثية وتاريخية، كاشفاً عن اقتدار فريد في الكتابة القصصية، إذ يعمد كثيراً إلى كسر أفق انتظار